حوار صحفي مع جريدة القدس
حول الشهيد ابو جهاد

س: من هو ابو جهاد ؟

رجل لا يوصف بالكلمات .. تضيق حوله العبارات. ولكن الرؤيا التي تحملها ذكراه في ضمير الناس تنتقل من جيل الى جيل .. من جيل عاشه ورآه . الى اجيال آتية سيظل بالنسبة لها قائداً ملهماً، شق اول الطريق الصعب وهو يافع واستمر .

لقد وصف ابو جهاد بالعشرات من الجمل الخاصة، التي تليق به من قبل القيادات والصحفيين، ومن تابعوا دراسة حياته. ولكنني ارى فوق كل ما قيل فيه انه كان اسيراً لفلسطين، يرى الكون منها كما يشتهي ان يراه .. وفي معادلة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي العربي الصهيوني، كان ابو جهاد متميزاً عن الكثيرين برويته الخارقة، وفهمه الناضج لمعادلة الثورة والتناقضات. فقد كان يفرق دائماً بين التناقضات الرئيسة والاساسية، وبين الثانوية والهامشية. كما كان يفرق بشكل حاسم بين التناقضات والتعارضات. فالحدية من التناقضات كان يدرك انها لا تحل الا بالوسائل العنيفة اما الثانوية فوسيلتها الحوار، لقد ادرك عن وعي الممارس اليومي الدؤوب الذي لا يكل ولا يمل، اين وكيف يتشكل معسكر الثورة واصدقاؤه. واين وكيف يتشكل معسكر العدو واصدقاؤه. كان يرسم في ذهنه اليومي صورة ساحة الصراع .. فلسطين التي يلتقي على حلبتها المقاتل الفلسطيني اللاجئ المشرد والمحتل الذي اغتصب ارضه وجهاً لوجه مع جلاده وقاتله وطارده. وكان يدرك ان التعايش بين الرقبة والسكين امر مستحيل. وكان يعرف نقاط قوة العدو ونقاط ضعفه. وكذلك كان يدرك نقاط قوة الثورة ونقاط ضعفها. كان يمارس، اعرف عدوك .. واعرف نفسك وخض الف معركة تكسبها .. ولذلك كسب ابو جهاد كل المعارك التي خاضها. حتى معركة استشهاده. فقد انتصر فيها على قاتله الذي ظن انه بقتله سيقضي على الانتفاضة فاذا به يلهبها. وينتشر دم ابو جهاد عليها ويجعلها تتأجج، وتفرض عليه ما كان لايتوهم يوماً انه قابل للتحقيق .

لتفرض عليه الهرب من قطاع غزه والانسحاب من المدن الفلسطينية وانبعاث السلطة الوطنية على طريق استكمال المشروع الوطني لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، القدس المباركة .

س: ماذا يعني استشهاد ابو جهاد هل يعني انتهاء مرحلة في التاريخ الفلسطيني ؟

حيث ان ابا جهاد كان من دعاة القيادة الجماعية والعمل الجماعي، فان منهجه النضالي يؤكد على استمرار المسيرة مهما خسرت المجموعة من افرادها. فاهتمامه الحازم بوحدة الموقف تجاه النضال داخل الارض المحتلة كان يشكل محور استقطاب في اللجنة المركزية. كما ان تشعب قنواته واتصالاته مع المجموعات والخلايا داخل الوطن في ظروف العمل السري كان يضمن الحرص والامان لخلايا المناضلين. لم يكن استشهاد ابو جهاد منعطفاً تاريخياً وانما على عكس ذلك جاء تأكيداً وتكريساً لاستمرار الخط النضالي الذي عاش ابو جهاد من اجله .

لقد خسر الشعب الفلسطيني باستشهاد ابو جهاد قائداً فذاً متميزاً من قياداته التاريخية. كان دائم التطور في فكره وممارساته يتعلم ويعلم ويشكل نظرية الممارسة التي تغني الفكر والفكر الذي يغني

ابداع الممارسة. ان عزاءنا من خسارته انه لايزال موجود بيننا بروحه وعطائه وما تقدمه حياته النضالية من قدوة ونموذج للمناضل الثوري والقائد الرمز الملهم لابداعات اجيال قائمة وقادمة.

أبو جهاد كالنجم الساطع.. لا احد يستطيع ان يأخذ مكانه. وهكذا يكون الشهداء القاده الرموز في الثورات. ولم تكن خلافة ابو جهاد في متابعة عمله النضالي المكثف والمتشعب قضية سهلة في حركة فتح واللجنة المركزية. لقد كانت ممارساته ثورة متكاملة في كل المجالات.. وهي وان تركزت على الارض المحتلة فقد كان يعزز دوره النضالي في الوطن بكل روافد النضال واشكاله، الاعلامية والسياسية والدبلوماسية. اضافة الى الروابط العميقة التي اقامها مع حركات التحرر في العالم. كان يربط بشكل حازم انتصار شعوب العالم على الاستعمار والامبريالية بانتصار شعب فلسطين والامة العربية على اسرائيل والحركة الصهيونية، لقد تحمل متابعة مسؤولية استمرار الدور النضالي للاخ ابو جهاد في الارض المحتلة الاخ ابو عمار بنفسه وبمساعدة عدد من الاخوة، خاصة وان الانتفاضة كانت في اوج انبعاثها وتألقها. واستمر الوضع الى ما بعد انعقاد المؤتمر الحركي العام الخامس للحركة وانتخاب اللجنة المركزية الجديدة حيث تشكلت لجنة خاصة من اربعة اعضاء من اللجنة المركزية برئاسة الشهيد ابو الهول للقيام بالمهمات التي كان يتحملها الاخ ابو جهاد، في المجالات العسكرية والانتفاضة والتنظيم في الاراضي المحتلة.

س: ما هو اكثر موقف تذكره لابى جهاد ؟

المواقف اللامعة في حياة ابو جهاد كثيرة. ولكنني اتذكر دائماً تلك اللحظات التي اخبرني فيها عن الانتفاضة القادمة. كان ذلك في ايلول 87 حيث طلب مني ان اذهب معه في رحلة الى السعودية للمشاركة في تخريج الدورة الصيفية لمعسكر الاشبال. وكنا قد شاركنا معاً في محاضرات في دروة الشهيدة نبيلة برير للكوادر حيث قدم ابو جهاد محاضرة حول النضال في الاراضي المحتلة دون ان يشير فيها الى الانتفاضة المنتظرة. وشاركت في محاضرات حول العمل التنظيمي، والمركزية الديمقراطية ، والنقد والنقد الذاتي، وحرب النجوم... طلب مني ابو جهاد ان اعد مجموعة من الدراسات المكثفة حول الانتفاضة وكيفية تطوير اساليبها وديمومتها وتفعيلها لتصبح نمط حياة للناس بما يؤمن انتشارها في المكان والزمان وبما يشل الكيان الصهيوني عن الحركة. وذكرني بالدراسات التي كنت قد كتبتها بطلب منه عام 69 حول خطوات تصعيد الثورة في الاراضي المحتلة، وحول العمل في الظروف السرية... والتخريب بالوسائل البدائية وغيرها . كان الطلب منطقياً وقلت له انني سأبذل جهدي في تلبية طلبه، قال اريد الموضوع بسرعة لاننا بحاجة له في التحضير للانتفاضة القادمة، قلت له ما اكثر انتفاضاتنا . قال ما نخطط له الآن امر مختلف عن الانتفاضات السابقة. يوم كنا في بيروت وكان الاهل في الوطن ينتظروننا. الآن انتقلت الثورة الى الداخل.. تنظيم الشبيبة والمؤسسات والاتحادات كلهم يتأهبون ونحن ننتظر ساعة الصفر. وستكون في الذكرى الثالثة والعشرين للانطلاقة الاولى أي في 1/1/1988 وشرح لي ابو جهاد خلال رحلة استمرت عدة ساعات تفاصيل ما قام به من تحضيرات تنظيمية وسياسية وجماهيرية ومؤسساتية خلال خمسة اعوام. منذ خروجنا من بيروت عام 82 حتى خريف عام 87 . تأكدت من خلال حديثه ان الكتمان هو احد اهم مقومات العمل. وان العمل بصمت يمكن ان يراكم ليعطي للمفاجأة اثرها .. ولكن المفاجأة لم تكن لي انا فقط. فقد كانت لابو جهاد نفسه حيث اندلعت الانتفاضة قبل ساعة الصفر التي حددها بثلاثة اسابيع.

س: ما هو الدور الذي... يمكن ان يلعبه ابو جهاد وقتنا الحاضر ؟

لو كان ابو جهاد بين اعضاء اللجنة المركزية ساعة مناقشة اتفاق اوسلو لكان في اعتقادي متميز

الموقف. فهو بطبيعته وبفكره ومنهجه يرى في الوجود الصهيوني المغتصب لوطنه فلسطين ولمسقط رأسه مدينة الرمله، وجوداً غير شرعي لابد من استمرار النضال لاجتثاثه. ولكنه في الوقت ذاته يدرك موازين القوى الراهنة التي تجعله يرى ويدرك ما في الاتفاق من بصيص ضوء يمكن عبره الولوج الى ساحة النضال في الوطن بشكل ارحب من شموس المنافي. لا اعتقد انه سيوافق على الاتفاق ولكنه سيتعامل معه كحقيقة نضالية تفتح له افاقاً كانت مغلقة. والصلابة الميدانية التي يتمتع بها ابو جهاد لن تحرمه من استخدام مرونته التكتيكية دون اخلال بمعادلة التناقض. كان وجود ابو جهاد سيغني بشكل قطعي الوحدة الوطنية الفلسطينية ويعزز طوق السلامة الوطني. من خلال قدرته على لم الشمل وتغليب وحدة الصف على الاختلاف حول الاهداف. ما احوجنا لوجوده ولكنها ارادة الله.

- كلمة للشعب الفلسطيني:

استمروا في البناء على الارض بعزيمة واصرار فهذه هي وسيلة الحفاظ عليها وتحريرها ..

استمروا في الدفاع عن كل المكتسبات التي تحققت للشعب الفلسطيني من خلال سلطته الوطنية.

استمروا في الهجوم بعناد اذا اصر الصهاينة على الاستمرار في مشاريع الاستيطان وعدم الالتزام بالاتفاقيات.

استمروا في الهجوم لحماية السلام الشامل والعادل والدائم وثقوا ان النصر الحتمي هو حليف المقاتلين المجاهدين المخلصين لله وللوطن.